مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
المجلد 17 العدد 2 (2024): 212 – 233 ISSN : 1112- 7163 E-ISSN: 2588-1892

صورة الفرق الإدارية المختّصة(S.A.S.) في كتابات جريدة المجاهد

(1958–1956)

The image of the specialized administrative section (S.A.S.) in the writings of the newspaper El-Moudjahid (1956-1958)

عبدالهادي حسين[1]،كريم ولد النبية[2]

1- حامعة سيدي بلعباس، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر،
h_a_hadi@hotmail.fr
2- حامعة سيدي بلعباس، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر
karimouldennbia@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:02-11-2024 تاريخ القبول:14-12-2024 تاريخ النشر:15-12-2024

ملخص:

هدفنا الرئيس في هذه الدّراسة؛ هو تتبع كتابات جريدة "المجاهد" في الفترة الممتدّة ما بين 1956 و1958، والوقوف على صورة "لاصاص" كما أرادت جريدة "المجاهد" أن تُبرزها لقرَّائها والمتتبعين لها داخل الجزائر وخارجها.

دراستنا تبحث في الموضوع من بُعدين، الأوّل كتابات جريدة المجاهد عن "لاصاص" والصورة المشكّلة عنها. والثّاني الكشف عن التّفاعلات التي طرأت عن نشاطات "لاصاص" وأثرها على تأطير السّكان المحليين. وبما أنّنا أمام جهاز أريد له أن يكون أداةً مرنةً، وفي نفس الوقت الجهاز المُخترِق للمجتمع الريفي الجزائري. اصدمت "لاصاص"بواقع معقّد؛ كشفت كتابات جريدة "المجاهد" لنا عن بعض ملامحه.

غطّت هذه الدّراسة ثلاث مساحات، الأولى الثورة الجزائرية في سياقها التاريخي، والثانية تأطير الثورة الموازي للسّكان المحليين في مواجهة تأطير "لاصاص"، والثالثة الوجه الآخر لنشاطات "لاصاص". اعتمدنا على كتابات جريدة "المجاهد"، باعتبارها مصدر ا رئيسًا، ورجعنا إلى مراجع متنوعة أعانتنا على معالجة الموضوع.

المؤلف المرسل: عبد الهادي حسين: hoabha2024@gmail.com

كلمات دالة: جريدة المجاهد، الثورة التّحريرية الجزائرية، الفرق الإدارية المختّصة، صورة لاصاص، الإدارة المحلية الاستعمارية الفرنسية

Abstract

Our main objective in this study is to trace the writings of El-Moudjahid newspaper during the period between 1956 and 1958, and to examine the image of « S.A.S. » as it was presented by the newspaper to its readers, both within Algeria and abroad. Our study addresses the subject from two angles: first, the representations of « S.A.S. » in El-Moudjahid and the image it created of this entity; and second, the interactions resulting from S.A.S.' activities and their impact on the organization of the local population. We are dealing with an apparatus that was intended to be a flexible tool, yet at the same time, it was an entity that infiltrated Algerian rural society. However, « S.A.S. » collided with a complex reality, some features of which were revealed through the writings of El-Moudjahid. This study covers three areas: first, the Algerian Revolution in its historical context; second, the parallel organization of the local population in the face of S.A.S.' control; and third, the other side of S.A.S.' activities. We relied on the writings of El-Moudjahid as our main source, and we also consulted various references that aided us in addressing the topic.

Key words: El-Moudjahid ; algerian revolution ; specialized administrative section ; the S.A.S. ; The French colonial local administration

مقدّمة.

تخطّت الثورةُ الجزائرية (1954 – 1962)، إطارَها المحلّي، لتكتسي بُعداً عربيا، وإفريقيا وعالمياً بل و حتى إنسانياً. ونجحت في أن تحجز مكانةً مركزية ضمن ظاهرة "مشروع حركات التحرر". تصفية الاستعمار لم يكن هو الهدف الوحيد، و لهذا تبقى الأبعاد الفكرية، العسكرية و السياسية للثورة الجزائرية ومجالات التفكير فيها واسعة جدا ضمن تلك الموجة

كاسحة التي هدمت في نصف قرن ما بناه الاستعمار في ثلاثة قرون. كما أن دراسة السياسة الاستعمارية تعتبر من أصعب الدراسات التاريخية، لأن لها علاقة مباشرة بالأفكار السياسية عبر التاريخ وهو أحد الفروع العلمية التي تبحث في تاريخ الفكر البشري ومنه ظاهرة الاستعمار وموجة الفكر التحرري وكل التّغيرات التي طرأت عليه خلال الفترة المدروسة. وثمة صلة وثيقة بين هذا النوع من الدّراسات التّاريخية والعلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى. نهدف من خلال هذا البحث إلى فهم أفكار الماضي عن طريق استيعابها في سياقها من خلال طرح الإشكالية التالية: هل ساهمت كتابات جريدة "المجاهد" عن "لاصاص" في تشكيل صورة واضحة لدى كلّ فئات قُرائها عن حقيقة نشاطاتها أثناء الفترة (1958–1956) من الثورة التحريرية؟

نحاول من خلال هذا البحث، اختيار فاعلين اثنين للإجابة على الإشكالية المطروحة، أولها منهج البحث التاريخي الذي اخترناه، كونه مُناسبا لمثل هذه المواضيع التي تتطلب جمع المادة التاريخية، نقدها، تحليلها وتركيبها في قالب استرجاع معرفة تاريخية من الماضي الإنساني. كما نعمل أيضا على فاعل ثان، يرتكز في جمع مصادر أولية و بدرجة خاصة جريدة "المجاهد" الأصلية باللغة الفرنسية (El-Moudjahid)، ومراجع مُعتبرة من الوثائق التاريخية للوصول إلى الإجابة على مشكلة البحث المطروحة المستوحاة من العنوان نفسه.

أوّلاً: الثورة الجزائرية وسياقها التاريخي

تظافرت عدّة عوامل داخلية وإقليمية وعالمية، ذكرها "بيان" أوّل نوفمبر، وشكّلت رافدًا يصبُّ لصالح اندلاع الكفاح التَّحرُري في الجزائر، كفاحٌ استثمر بنصيب وافر من الوضع المتردي والمتأزم للإدارة المحلية الاستعمارية، خصوصًا في الرّيف الجزائري، وهو البُعد الذي كتبت عنه جريدة "المجاهد".

1– جريدة "المجاهد" وكتاباتها عن الفرق الإدارية المختّصة

تطرقت جريدة "المجاهد" الناطقة بالفرنسية، والصادرة أثناء الثورة التّحريرية الجزائرية، في كتاباتها إلى الفرق الإدارية المختصة، التي عُرفت شعبيًّا باسم "لاصاص"، إذ أنها كُلّفت بما يُعرف بـــ"العمل المدني–العسكري".

ذكرت "المجاهد" بعض أعمالها بشكل موجز في أحيان كثيرة، وتوزّعت هذه الكتابات على فترات متباينة، تشكّلت عنها جوانب من صورة "لاصاص" حسب الرُّؤية التي ظهرت لجريدة "المجاهد".

مسحت دراستنا أعداد الجريدة كاملة، حيث أنّها جُمعت في ثلاثة أجزاء كبيرة، وصدرت في شهر جوان 1962، واخترنا دراسة أعداد الجريدة الصادرة في الفترة الممتدّة على ثلاثة أعوام، يعني ما بين 1956، وعام 1958، لأنها الفترة التي عرَفت فيها "لاصاص" كثافة في التأسيس والانغراس عبر القطر الجزائري، وتوغلاً كبيرا امتد إلى الأماكن النائية، وتناميًّا في دورها ونشاطها، وتزايدًا في أعدادها وتعدادها.

ومعلوم للدّارسين طبيعة المهمة التي أُنيطت بجريدة "المجاهد"، فهي ناطقة باسم الثورة، وموجهة للدعاية الثورية، والحرب الإعلامية؛ إلاّ أن هذا لم يمنع من الاستفادة من كتاباتها لبناء موضوعنا، واستخراج بعض جوانب من صورة "لاصاص" بناءً على ما ورد في كتابات مراسليها المنتشرين عبر القطر الجزائري؛ فهي كتابات ساعدتنا على تشكيل صورة منبثقة من متابعتهم الميدانية، ومشاهدتهم المباشرة، ومعاينتهم المستمرة. و لم يغب عن ذهننا ما يكتنف هذه الكتابات من مؤثرات ومقاصد متعدّدة اقتضتها طبيعة المرحلة وأهداف الحرب.

مما نشرته جريدة "المجاهد" عن الفرق الإدارية المختّصة أغلبه هو رصد لنشاطها في أرياف الجزائر، كان يُرسل إليها بواسطة مراسليها (من المجاهدين) من داخل الجزائر، فتوظفه بشكل يميط القناع عن حقيقة سياسة الإدارة المحلية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، ويُسهم في إحراجها ومحاصرتها لدى الرّأي العام في الجزائر وفرنسا والرّأي العام الدولي.

من أجل هذا اهتّمت دراستنا بعد قراءة مجمل الكتابات عن "لاصاص"، تدوينها ثم تصنيفها وتبويبها ثم تركيبها في صورة تُقرّب "لاصاص" كما أرادت جريدة "المجاهد" أن ترسمها عنها على صفحاتها، في الفترة الممتدة ما بين 1956 و1958.

كتبت جريدة المجاهد عن نشاطات "لاصاص" وذكرت أنها كانت متعدّدة جدًّا؛ منها، المُعلن والمنشور على نطاق واسع، لكن أخطرها كان غير المعلن الذي نُشر في نطاق ضيّق جدًّا، وصبَّت مجملها في تشكيل رؤية الطرف الآخر المتمثل في جريدة المجاهد لسان حال الكفاح

التَّحرُّري. إذْ ظهر لمراسليها حقائق ميدانية نابعة من معايشتهم للواقع، ولا يُنقص من أهميتها أنها حقائق كاملة أو جزئية.

2–الحاجة إلى إدارة متخصصة في ظل تصاعد المد التّحرُري

استفادت السلطات الفرنسية من هزائمها في الحرب العالمية الثانية، وفي الهندالصينية؛ وفي تونس، والمغرب، ودول السّاحل، وأدركت من دروس هزائمها، أن طبيعة الحرب الثورية المعتمدة على حرب العصابات لن يهزمها جيش نظامي ثقيل في معداته، بطيئ في تحركاته، حيث دُرّبت عساكره على خطط الحروب التقليدية، والخطط الحربية الكلاسيكية. (Lacheroy, 1955, p3).

هو البُعد الذي تأكّد بعد تصاعد الكفاح التحرري مستعمراتها عمومًا، وخصوصًا في الجزائر بعد انطلاقته في أوّل نوفمبر 1954، واكتساحه لرقعة واسعة من شَمال البلاد، وانتشاره بسرعة لم تكن متوقعة، مما أدى بالسلطة الفرنسية للانتقال إلى العمل المباشر الذي استهدَف السّكان المحليين. وهذا الاستهداف لا تريد منه إلاّ عزلهم وإبعادهم عن التأثير الثوري، مدركةً أن تحييد السّكان المحليين كليّة عملٌ شاق ونتائجه غير مؤكّدة، ويحتاج إلى نفس طويل، وإمكانيات ضخمة، وجهود كبيرة، وعناية مستمرة، ورأت أنه وإن كان صعبًا فهو من أكبر أهدافها، ولا ينبغي التّفريط فيه، واستثمار نتائجه.(Mathias, 1998, pp20–27)

اختارت السلطة الاستعمارية الخيار الذي لا بديل عنه، لأنهم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى سُلُوكه، فلابد من سحب واستمالة جزء من السّكان المحليين ودفعهم سواء إلى موالاة فرنسا أو البقاء على الحياد، وهذا من أجل إنهاك الكفاح التّحرري، وتجفيف منابعه، وإطالة مدة الحرب، واستنزاف طاقات التعبئة لدى المجاهدين على كافة المستويات. ثم تأتي مرحلة إفشال جهودهم وتفكيك نظامهم، ومن ثمّ عزل الفئة الرافضة للتفاوض مع السلطة الاستعمارية في موضوع مستقبل الجزائر، وهي الفئة التي رأت أنها تُهدّد مستقبل "الجزائر الفرنسية". ولابد من فتح باب التفاوض، ولا حد للتفاوض وإن تطلب الأمر الاكتفاء بانفصال جزء من القطر الجزائري ليكون موطنا للأقدام السُّود. (حسين، 2014، ص36)

هذه التّخوفات أخرجت التّصريحات الأولى للمسؤولين الفرنسيين، في الأشهر الأولى للكفاح التّحرُري، ودفعتهم للتركيز على أن "الجزائر هي فرنسا"، وأن عمالات الجزائر هي جزء من الجمهورية، والحفاظ عليها هو حفاظ على الوحدة الترابية للأمة الفرنسية، فلن يقبل الانشقاق لأن الجزائر جزء مكمل لفرنسا؛ وغيرها من التّصريحات التي أنبأت بأن شعار "التهدئة" هو الشعار المُفضّل لديهم، والذي سترفعه السلطة الاستعمارية، وتتخذه غطاء لمعالجة ما أسمته بالوضع الأمني الداخلي، والأمر الذي لا يعدو أن يكون متعلّقا بالشأن الفرنسي، وأما الحديث عن "حرب" تحرُرية هدفها الاستقلال فقد وصفتها بأنّها دعاية يقف وراءها أعداء فرنسا في الداخل والخارج.(Abbas, 2011, pp66-68)

بهذه "العقيدة" صبغت السلطة الاستعمارية الفرنسية الكفاح التّحرُري الجزائري، وعلى هذا الأساس اتفق مَن آمن بهذه العقيدة فوصفها بـــ"الحرب التي لا اسم لها"، أو "حرب بدون اسم"، إلى غاية عام 1999 حيث كان الاعتراف الرّسمي بأنها كانت "حربًا"، حيث تنازلت الجمهورية الفرنسية لمن شارك في هذه "الحرب" من أعوانها، لتمنحهم صفة رسمية تتيح لهم نيل حقوق مادية تعويضًا لهم عن مشاركته "حرب الجزائر"، ليس إلاّ.

بعد تجاوز "فوبيا" كلمة "حرب الجزائر"، اضطرت أن تقبل بالتسمية الرّسمية، وتعترف بتضحيات أعوانها، وثقلاً تاريخيًّا أرادت التّخلُص منه، بعد أن تلطخت سمعتها، وتحجّم نفوذها في فرنسا وخارجها.

3– "لاصاص" وطبيعة الكفاح التّحرري في الجزائر (1956–1958)

عَدَّت أغلب الدّراسات التّاريخية، والعسكرية، وغيرها؛ الكفاح التّحرُري الجزائري أنه يُصنّف ضمن ما أطلق عليه بـــ"الحروب الثورية"، تلك الحروب الذي تتخذ من السّكان المحليين خزّانا تتغذى منه للحفاظ على بقائها، واستمرارها، وانتشارها، وبعدها تتحقّق أهدافها.

طبيعة هذا النّوع من الحروب أنه يضع استمالة السكان إلى صفّه، وضمان تأييدهم واحتضانهم لقضيته، وتجنُّد مختلف فئاته لصالحه، هدفًا أساسيا في حدّ ذاته؛ بغض النظر عن الأهداف الأخرى المهمة أيضًا. (Abbas, 2011, pp92-93). ومَن استطاع مِن أحد الطّرفين حيازة هذه الورقة الرّابحة، وحُسن توظيفها، فقد حاز على أحد أهم عناصر التّفوق والانتصار،

وتحصَّل على عنصر توازن يخلق مصاعب ومتاعب متعدّدة للطرف الآخر، بحيث تُضعف خططه، وتُفرغها من فعّاليتها بشكل مؤثر، وتُرهق مواردَه المادية والبشرية، ويكون أقرب إلى الفشل والهزيمة.

ومن هنا، كانت صعوبة تحييد السّكان المحليين عن احتضان وتأييد الكفاح التّحرري في الجزائر، عنصرا حاسما، عقّد مهمّة الجيش الاستعماري، وأربك الكثير من عملياته العسكرية. وزاد الأمر تعقيدًا صُعوبات حصر انتشار الكفاح التّحرري والقضاء على المجاهدين الذين نظموا أنفسهم في مجموعات صغيرة ذات تسليح خفيف، وتحرّك سريع. مجموعات تتنقل في الجبال الوعرة، والأماكن النّائية، وتسلك تضاريس الصعبة ترهق في غالبًا عند سلوكها من قبل الوحدات الثقيلة للجيش الاستعماري. تعتمد مجموعات المجاهدين على تكتيكات حرب العصابات؛ من انتهاج أساليب المباغتة، والضربات الخاطفة ثم الانسحاب السريع، مستفيدة من التغطية الطبيعية التي تتوفّر لديها وتعمل لصالحها سواء من السّكان المؤيدين لها، أو التغطية الطبيعية التي تتميّز بها خريطة التضاريس، والتي هي أكثر معرفة بها، وأفضل تكيّفا معها، وتتعامل بمرونة أحسن.

فأكثر المعطيات الجغرافية تصب لصالح الكفاح التّحرُري في الجزائر، من مناخ وتضاريس ومسالك وحدود وجنوب شاسع، وفئات واسعة من السّكان المحليين المؤمنين بها أو المُرغمين على الانصياع لها، أو الخائفين من بطشها.

وفي هذا السياق، لم يكن أمام الجيش الاستعماري من إستراتيجية إلا السعي من أجل التّحكُّم في المجال والإنسان. أما المجال فباعتماد "التربيع" (Quadrillage)، وتقسيم الجزائر إلى مناطق محرّمة، وغير مُحرّمة. وأما الإنسان، فسعت إلى تجميعه في أماكن قريبة من المواقع العسكرية، ومحاصرته بالأسلاك الشائكة، وحراسته من فوق أبراج عالية مشيّدة في محيط أماكن تجميعه، ليسهُل مراقبة حركاته، ومنع أيّ صغيرة وكبيرة تُعكّر على السيطرة المحكمة، أو تشوّش على إدارتها لكلّ فئات السّكان.(Mathias, 1998, pp107-117)

وتحقيق هذه الإستراتيجية، تطلّب إنشاء جهاز إداريٍّ متخصص، كُلّف بالإشراف والتّسيير والتأطير والانجاز، فدعت الضرورة الملحة إلى تأسيس ما عُرف باسم "الفرق الإدارية المختّصة" في نهاية سبتمر 1955. كُلّف هذا الجهاز الإداري بمسؤولية إدارة هذا الميدان. وقد عُرف على

المستوى الشعبي في تلك الفترة بتسمية "لاصاص". فهي فِرق مختّصة لتأطير السكان المحليين أثناء الثورة التحريرية من جميع الجوانب وفي شتى المجالات.((Arch,SHD.Paris.Série.1H1211

تحمَّلت "لاصاص" بذلك ثقلاً أرهق الوحدات العسكرية المكلفة بالعمل الحربي، وومح لها بالتّفرّغ للمهام عسكرية الصِّرفَة. وهو ما يُمثّل توزيعًا مهمًا للمهام والأدوار فرضه الواقع المعقّد، والاختيارات الإستراتيجية، وهو خطة للتنسيق بين العمل الإداري المختص والعمل الحربي الصِّرف، ونجاحه يُكسب الإستراتيجية الشاملة فعّالية كبيرة، وإذا حقّقت نتائج مشجعة فستفتح المجال لكي تنصبَّ جهود الجميع على تقويض وإفشال الكفاح التّحرري في الجزائر كلٌّ في موقعه وحسب مهمّته.

إن انغراس "لاصاص" على المستوى المحلي، وتوغلها في الرّيف الجزائري، وانتشارها وسط السّكان المحليين؛ مكّنها من نسج شبكاتها الاستعلاماتية التي تمد السلطة الاستعمارية –العسكرية والمدنية – بمعطيات مفصّلة ودقيقة عن الواقع المحلي في أدنى مستوياته، وبما يتصف هذا الواقع من تقلبات سريعة، وتغيّرات مستمرة في سياق تحوّلات يفرضها الكفاح التّحرري والعمل الموجّه ضدّه، ولهذا كان تأطيرها للسّكان المحليين قائما على التّخصص الإداري وإدارة التيئيس والإنهاك، أكثر منه عزل السّكان المحليين عن الثورة، لأن السلطة الاستعمارية تُدرك بأن تحقيق هذا الهدف أمر صعب ومتعذر إن لم يكن مستحيلاً. وهو الأمر الذي يُبيّن الأهمية الكبيرة للسّكان المحليين في إسترتيجية الحرب الثورية التي اصطبغ بها الكفاح التّحرُري في الجزائر.

4– إستراتيجية الحرب الثورية ودور "لاصاص" لكسب السّكان المحليين

ترجع أهمية السّكان المحليين في انخراطهم واحتضانهم ودعمهم للكفاح المسلّح. ويساهم وضوح مفهوم هذا الكفاح ومبادئه، وسهولة شرحهما لعامّة النّاس، إلى العناية بتجسيدها ميدانيًّا، بالتأييد والمساندة والدعم دون حد، من تموين وتمويل وتخزين واستعلامات مما يُقلّل من الانهماك في التنظير وتشقيق الكلام، والاستغراق في الخلافات الكلامية التي لا تنتهي(El-Moudjahid,1958, p255).

بهذا الانخراط، تحصَّل الكفاح المسلّح في الجزائر، على قوة دافعة، ساعدت على إضعاف خطة تأطير "لاصاص" للسّكان المحليين، والتقليل من تأثير عملها الدّعائي. فمع عدم واقعية الإيديولوجية الاستعمارية، أضيف إلى ذلك جهل أكثر ضباط "لاصاص" بالحقائق الشعبية والذهنيات التي يتميّز بها السّكان المحليين. ومن هنا كانت قضية "لاصاص" التي كُلّفت بها وأشرفت على إنجازها منفصلة عن حقائق الميدان الذي تمارس فيه نشاطها، وكان مآلها في أحيان كثيرة التّعثر والفشل في كثير من المناطق، وإن نجحت في بعض الأحيان وفي بعض الأماكن فهذا راجعٌ إلى استعمالها أساليب الإفساد والابتزاز.

إن محاولة "لاصاص" التّكيّف مع التّحوّلات التي عرفها السّكان المحليين، لم يمنع من إقبال فئات معتبرة منهم على احتضان الكفاح التّحرُري، ومسايرة الوضع الثوري، والتّكيّف مع إستراتيجية الحرب الثورية، و لم يكبح انضمام القادرين من السّكان المحليين إلى صفوف المجاهدين وتعزيزها، والمفارقة أنها اصطدمت "لاصاص" في أحيان كثيرة بعزوف السّكان المحليين عن نشاطها، والخضوع لخطتها والتّفلّت منها بشتى الطرق والوسائل.(El-Moudjahid,1957,p110).

وَرَد في بعض التّقارير التي يكتبها ضباط "لاصاص" بشكل دوري، ما أفاد بأن قوة التّأطير لدى جبهة التّحرير الوطني راجعةٌ في جانب مهم منها إلى اختلاطها بالسّكان المحليين ومعايشة محافظيها السياسيين ومعاونيهم لواقع السّكان اليّومي ومعرفتهم الدقيقة بنمطهم الاجتماعي والثقافي، وهو ما سهّل انخراط فئات واسعة من السّكان المحليين في تحقيق خطتها، وتبني المبادئ التي قام عليها الكفاح التّحرري، مما سهل على المجاهدين الاستفادة من دعمهم ومساندتهم في تحرّكاتهم وعملياتهم، وبقائهم صامدين، قادرين على تجديد صفوفهم باستمرار.

لمواجهة هذا الانخراط والاحتضان، طالب ضباط "لاصاص" من السلطة الاستعمارية، تكثيف عمليات غرس "لاصاص" بأعداد كبيرة في الأرياف، ودعم فرقها بالأفراد والوسائل، ليسهُل عليها تأطير السّكان المحليين بفعالية أكبر، وإنجاح جلبهم إلى صفّها، وانخراطهم في خدمة القضية الكبرى التي ترعاها فرنسا في الجزائر. ولهذا سعت "لاصاص" إلى بناء مدارس للأطفال(El-Moudjahid, 1957, p110). وإنشاء مراكز تكوين الشباب، وجلب ممرنين للشباب، وإقامة بيوت الرّياضة لهم، وتعليم المهن والحرف للفتيات، ورعاية كبار السّن.(-El

(Moudjahid, 1958, p256)، وغيرها من وجوه التّأطير المكثّف لمختلف فئات السّكان المحليين.

حسب بعض تقارير ضباط "لاصاص" التي وقعت نسخ منها في أيدي المجاهدين، وذكرتها جريدة "المجاهد" فإن غزو السكان المحليين يتم بالابتزاز والإفساد.(El-Moudjahid,1957,p110).

إذا كان أفراد جيش التحرير الوطني في الأرياف، ينحدرون من بئتهم الطبيعية التي هي السّكان المحليين، واختاروا في كفاحهم المسلّح إستراتيجية حرب العصابات، التي تستمد قوتها هي الأخرى من احتضان ومناصرة السّكان، فما كان على "لاصاص" إلاّ استخلاص الدّرس، وّ انتهاج أساليب شتى تدفع بهؤلاء السّكان إلى التّخلي عن المجاهدين والامتناع عن مؤازرتهم.

في هذا السياق، استخدمت "لاصاص" أساليب التّكيُّف، ومحاكاة أساليب المجاهدين لشلّ نشاط الكفاح التّحرُري، وتنوعت طُرق استمالة السّكان وجذبهم إليها. وحاولت إقناعهم بأساليبها الإدارية بأن قضية المجاهدين قضية خاسرة، وفاقدة لأدنى شروط النجاح، وأن مآلاتها الفشل، وإذا صارت إلى هذه النتيجة فإن آثارها ستكون وخيمة وقاسية على السّكان وخاصة الذين اختاروا احتضان المجاهدين والإيمان بقضيتهم. ولهذا كان هذا الغزو الجديد شكلاً من أشكال عمل الإدارة المتخصصة المتكيّفة، ارتكز على إفساد السّكان وابتزازهم، وعُدَّ عملاً تأطيريًّا وخطة لتجفيف منابع التجنيد لصالح الكفاح التّحرُري، ولهذا سُميّت هذه الفرق بـــ"الإدارية المختصة"، فهي إدارة محلية تقدّم خدمات هدفها التأطير، وليس توفير وسائل العيش المطلوبة والضرورية. إلاّ أن ما يُلاحظ على عمل "لاصاص" هو استدعاؤها لطريقة عمل مصالح الشؤون الأهلية في المغرب، واستعادت حتّى موضوعاتها وشعاراتها.(El-Moudjahid, 1957, p110).

لم تكن مواجهة حرب العصابات التي أُتُخذت استراتيجية للكفاح التّحرُري أمرًا سهلاً للجيش الاستعماري، فقد خَلَقت صعوبات كثيرة له، بسبب أنه لم يتكيّف إلاّ مع معطيات حرب تقليدية، ومن المعلوم، أن حرب العصابات اتخذت أثناء الكفاح التّحرُري من الجبال معاقل لها، ومن السّكان مصدرًا للدعم والتّجنيد؛ فأدركت السلطة الاستعمارية ضعف فعالية استراتيجيتها

الحربية وبطء نتائجها إذا بقيت متشبثة بالخطط التقليدية القائمة على مضاعفة التّعداد والعتاد، مما يؤدي إلى استنزاف مواردها المادية والبشرية والانغلاق في دائرة مفرغة تساهم بشكل من الأشكال في حدوث نزاعات في القيادة داخل السلطة العسكرية الفرنسية نفسها، وبينها وبين السلطة المدنية، ولإثارة خلافات مع بعض الأحزاب السياسية الفرنسية. وظهرت آثار هذه النّزاعات في التّغيير المتكرّر للقيادات العسكرية والمدنية في فرنسا والجزائر. وكذلك التّغيرات السريعة للتكتيكات العسكرية التي وُضعت للقضاء على الكفاح التّحرري. وهو ما يمثّل مظهرًا من مظاهر الأزمة العميقة التي عرفها الجيش الاستعماري منذ الحرب العالمية الثانية مرورا بالحرب في الهندالصينية واستمرت أثناء الثورة التّحريرية الجزائرية. ويُضاف إلى ذلك ما وصلت إليه المؤسسات السياسية في فرنسا من انسدادات متوالية قلّصت من عمر الجمهورية الرّابعة، حيث كبّلت عملها، وسرّعت سقوطها.

سعت "لاصاص" بعد انطلاق عملها إلى التقليل من شأن التنظيم الثوري للكفاح التّحرُري الجزائري، حيث وصفت المجاهدين بـــالحفنة المتمرّدة، وتأطير السّكان المحليين قضية لا تتطلب إلاّ وقتا قصيرا، وتتوّج بإبعادهم عن "الحفنة المتمرّدة"، وإرساء إدارة محلية متخصصة كفيل بإرجاع الوضع إلى طبيعته. وكلُّ هذا لا يتطلب إدارة مُكلّفة، لأنّ استغلال عمليات حفظ الأمن كفيل باسترجاع الهدوء، ودعم منسّق لعمليات "التهدئة" سيسرّع الرجوع إلى ما كان عليه الوضع قبل أوّل نوفمبر 1954. ورغم هذا التفاؤل الذي يظهر أنه مُبالغٌ فيه، لم تقدر تقارير ضباط "لاصاص" على إخفاء التّزايد المحسوس للأفراد الذين دعموا صفوف المجاهدين في الفترة ما بين 1956 و1958. والتّكتّم على أعداد القتلى والجرحى في صفوف الجيش الاستعماري جرّاء المواجهات المسلحة مع المجاهدين، وهي حصيلة لها أكثر من مدلول.(El-Moudjahid,1957,p110). وتكشف عن تأطير موازي عملت الثورة التّحريرية على تفعيله وسط السّكان المحليين.

ثانيا: تأطير الثورة الموازي للسّكان المحليين في مواجهة تأطير "لاصاص"

ساهمت جريدة "المجاهد" في الكتابة عن الأهمية الكبيرة لقيام تأطير موازي يعمل لصالح الكفاح التّحرُّري، ويعين على إضعاف عمل "لاصاص"، ويدفعها إلى مأزق حقيقي

1–"لاصاص" ومأزق التأطير الموازي

لم تُهمل الثورة التّحريرية ضرورة تأطير للسّكان المحليين، وإقامة إدارة محلية تابعة لها، متكيّفة مع الواقع الثوري، وبالتنسيق بين عمل مجموعاتها وعمل المحافظ السياسي الذي يعيش وسط السّكان ويعرف حياتهم اليومية. وحدّدت مُخرّجات مؤتمر الصومام في أوت 1956، تراتبيّة إدارية تصاعدية تبدأ من القطاع (secteur)، مرورا بالجهة (région)، فالناحية (zone)، ثم الولاية لتكون عبارة عن سلسلة من الهيئات الإدارية تُجَابه وتخلق تحدّيا في وجه رداءة "القايد" و"لجماعة" والبلدية والدائرة والعمالة حسب التنظيم الإداري الاستعماري، وكشف زيف الإصلاحات الإدارية التي أقرّتها متأخرة جدا، حيث قامت بترقية البلديات المختلطة الغابرة، إلى بلديات كاملة الصلاحيات وبعضها إلى "سوبريفيكتور" والقائم بها ما هو إلاّ المتصرّف الإداري القديم في البلديات المختلطة، ومَن كان في ندرومة نقل إلى سبدو. هذا هو إصلاح الإدارة المحلية في قاموس السلطة الاستعمارية. وتعطّلت المجالس العامة، واندثرت المجالس المنتخبة، بعد مقاطعة السّكان المحليين للانتخابات بعد تهديد الثورة لهم إن هُم شاركوا فيها. وأما الدوائر الإدارية، فهي وهميّة ومصطنعة، لا وجود لها فعليا على أرض الواقع إلاّ من خلال الخرائط والوثائق الرّسمية الموضوعة في المكاتب.(El-Moudjahid, 1957, p221)

وأمام هذا الوضع، برزت أهمية التّأطير المُوازي لكونه يكسِر كل محاولة هدفها استعادة استمالة السّكان من قبل الفرق الإدارية المختّصة، ويحُول دون نجاح التعامل الطوعي للسّكان معها، ويُشجّع السّكان على التّململ في الحالات التي يجدون أنفسهم في مواجهة القمع وضغط الإكراه والإرغام القسري، ويقطع سلسلة إعادة الغزو التي لجأ إليها ضباط "لاصاص" لدفع السّكان إلى التّجاوب مع خططهم. إلاّ أن أكثر محاولات "لاصاص" في هذا الإطار أدّت إلى نتائج عكسية، وضعّفت فعّالية عمليات الانغراس والتّغلغل الإداري.(El-Moudjahid, 1957, p222)

كان لجوء الثورة إلى التّأطير الموازي للسّكان المحليين من أهدافه إفراغ الإدارة المحلية الاستعمارية خصوصًا في الأرياف النائية من فعاليتها، وعرقلة عملها، والحد من نفوذها، لتجد نفسها في حالة شلل أو قريبة منه. وهو الهدف الذي أدركته السلطة الاستعمارية، وأرادت سدَّه بتعزيز

"لاصاص" ونقل كثير من صلاحيات الهيئات إدارتها المحلية الأخرى وجعلها مشتركة وداخلة في مهام ضباط "لاصاص". (El-Moudjahid ,1957, p110)

رغم عدم وجود ذكر لها في هياكل الثورة، فقد أطلقت السلطة الاستعمارية على التأطير الموازي الذي أقامته الثورة بـــ"المنظمة السياسية الإدارية" (O.P.A.). وهو اعتراف منها بقوتها على الميدان ووسط السّكان، وتأثيرها على عمل الإدارة المحلية الاستعمارية. (El-Moudjahid,1957,p110)

من أهداف التّأطير الموازي الذي مارسته الثورة، هو تفكيك الصلة بين الإدارة المحلية الاستعمارية والسّكان المحليين، ومن مظاهره استهداف "القيّاد" باعتبارهم أعوان هذه الإدارة على المستوى القاعدي، وباستهدافهم تنقطع الصلة بين حلقات التراتبيّة الإدارية الاستعمارية، وتتوقف التقارير الصاعدة إلى الهيئات الاستعمارية العليا التي كانت يكتبها "القيّاد"، وهم باعترافها كانوا "العين" التي ترى بها الواقع المحلي.(El-Moudjahid ,1958, p548)

بتقويض الثورة لدور "القيّاد" والتقليل من سطوتهم على السّكان المحليين، وخلخلة تأطيرهم لهم، أوكلت السلطة الاستعمارية إلى ضباط "لاصاص" كثير من مهام "القايد" وشيخ القبيلة ورئيس العائلة، فكان جهازًا إداريًّا لملء الفراغ الذي حدث بسبب استهداف "القايد" ومعاونيه من قبل الكفاح التّحرُري.(El-Moudjahid, 1958, p255) ولم تكتف الثورة باستهداف "القايد"، بل أنشأت وسط قرية وجماعة سكانية مجلسًا شعبيًّا مُصغّرا، وأوكلت له إقامة مصالح للحالة المدنية، وأخرى للشأن القضائي وما يتعلق بالأمور الاقتصادية والمالية.

في رسالة ذات طابع داخلي كتبها الوزير المقيم "روبير لاكوست" في 21 فبراير 1957، أشار إلى أن "جبهة التحرير الوطني" تنتشر باستمرار عبر كافة التراب الجزائري، وتقيم هيئاتها الإدارية والسياسية وتهدف إلى إقامة تأطير موازٍ للسّكان، وفرض مراقبة مشدّدة عليهم وتلقينهم مبادئها الثورية. (El-Moudjahid,1957,p110)

2– "لاصاص" جهاز إداري لاستمرار الوضع الاستعماري

تحت ذريعة الإدارة "المتخصصة"، استخدَمت السلطة الاستعمارية "لاصاص" غطاءً للتّمويه عن أهدافها الحقيقة وسط السّكان المحليين. فكان الحصول على المعلومة من وسط السّكان مُقدّمٌ على تلبية متطلبات هؤلاء السّكان.

كان ضابط "لاصاص" وجميع أفراد فِرقته يُولون أهمية كبيرة للعمل الإداري الاستعلاماتي الذي يتيح لهم رصد تحرّكات السّكان وكشف علاقتهم الإسنادية للمجاهدين، ومن ثمّ إيصالها إلى الوحدات العسكرية للجيش الاستعماري ليستفيد منها ميدانيا، فمعرفة ضباط "لاصاص" للميدان يُعدّ إسنادًا فعّالاً لتلك الوحدات التي لا تعرف الواقع المحلي بمثل معرفة ضباط "لاصاص" له، خصوصًا الذين تطول مدة مكوثهم في منطقة ما، وتلك التي انغرست بقوة بين السّكان في بعض المناطق. وهذه المهمة غالبا ما تتم تحت غطاء متنوع يُراعي خصوصية كل منطقة، وهو وجهٌ من الأوجه المتعدّدة التي دُرّب ضباط "لاصاص" عليها، وقد تزيد فعاليتها أو تتضاءل حسب درجة ما يملكه ضابط "لاصاص" من تحفيز واستعداد ونشاط وقناعة بعقيدة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتجنُّد من أجل بقاء "الجزائر الفرنسية" وإطالة الوضع الاستعماري في الجزائر. (El-Moudjahid ,1958, p465)

قد نجحت الدّعاية الفرنسية في جلب كثير من الشباب المتعلّمين في فرنسا إلى الجزائر تحت غطاء النجدة الإنسانية التي تسعى لتقديمها للسّكان المحليين، فاستجاب مئات منهم لنداءات الانضمام إلى "لاصاص" إيمانًا منهم بأنها وسيلة للتّرقية الاجتماعية وخدمةً للمُثل الإنسانية وحقوق الإنسان. إلاّ أن الحقيقة التي صدمت بعضهم أنهم وجدوا أنفسهم في أداة لبقاء وإدامة وإطالة والتضحية دفاعا عن الاستعمار الفرنسي، بعد أن رُبط سيكولوجيا وجودهم بالحفاظ على فرنسا عظيمة، وحماية مستعمراتها من الاضمحلال، وصيانة مجد شعبها ونفوذ حضارتها، واعتبار التفريط فيه والنُّكوص عن خدمة خيانة وانحطاطا واندثارًا. (El-Moudjahid, 1957, p185)

لم تمنع هذه الدّعاية المكثفة من فهم أغلب السّكان المحليين بأن دور ضابط "لاصاص" مثلُه مثل "القايد" هو في خدمة الاستعمار الفرنسي وإدامة هيمنته، وأنه قدم من بلاده إلى الجزائر ليس من أجل خدمة السّكان المحليين وإرجاع أراضيهم التي انتهبها الاستعمار الاستيطاني، ولا لحفظ كرامتهم وحمايتهم من الإذلال، أو العناية بحياتهم المعيشية عبر مجموعة من الإجراءات الإدارية

التي وَعَدَهم بها ضباط "لاصاص". لقد استوعب السّكان المحليين ما يريده ضابط "لاصاص"، ومِن خلفه السلطة الاستعمارية التي لا يهمها إلا دوام عُمر استعمارها في الجزائر. فكان هذا الإدراك سببا في نماء وعيهم بحاضرهم ومستقبلهم، واستخلاصا للدّورس من ماضيهم، فرأوا أن الفرصة قد أتت إليهم وقد لا تتكرّر مستقبلاً فكانت دافعًا نفسيا لانخراطهم في جهود تصفية الاستعمار الفرنسي في الجزائر وكل مَن يعاونه بدايةً من "القايد"، وقائد "لاصاص"، فاستجابوا لأوامر المحافظ السياسي التي طلب منهم الكف عن التعامل مع قائد "لاصاص" إلاّ في الحالات القاهرة، وتجاهل وُعوده، وإذا فُرض عليهم التعامل معه فيُقلّص الاتصال به إلى أدنى المستويات، فيفهم ضابط "لاصاص" بأن وجوده بينهم غير مرحب به، وأن السّكان المحليين ضد إدامة الوضع الاستعماري، وعلى أعوان فرنسا الرّحيل، لأنها لن تجد مَن يؤمن باستعمارها، وهي النتيجة التي تسعى "لاصاص" أن تقلّل من صدمتها وحدّتها. (El-Moudjahid,1957,p222)

3–"لاصاص" أداة لحرب الاستئصال

اعترضت "لاصاص" صعوبات أضعفت في بعض الأحيان من فعّالية عملها، وأبطأت بشكل محسوس مهمتها التي من أهدافها تحويل السّكان المحليين إلى ناس طيّعين خاضعين في المناطق التي تمكّنت من الانغراس فيها. وسعت جاهدة لسحب السّكان من قبضة التأطير الموازي التي نسجت شبكته الثورة. وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها ضباط "لاصاص" تحت مسمّى عمليات "التهدئة" و الإدارة المتخصّصة فإنه انتقلت إلى مرحلة أخرى اكتست صفات حرب الاستئصال، حيث أرغمَت السكان المنتشرين في المناطق الجبلية النائية والغابات على تركها، ونقلتهم إلى مناطق أحكمَت سيطرتها عليها، ومتّنت مراقبتها لها، وهي خطّة أرادت منها فصل السكان بدنيا عن التأطير الثوري، ومنعهم من العودة إلى بيوتهم وأراضيهم، بعد أن صنّفت مناطقهم بأنها مناطق محرّمة ومعرّضة للقصف المدفعي والجوي، ووجودهم بها يجعلهم أهدافًا مشروعة للقصف والتدمير، والملاحقة أثناء عمليات التّمشيط التي يُطلقها الجيش الاستعماري. (غربي، 2009، ص ص181–184).

إنَّ استحداث المناطق التي أطلقت بالمحرّمة يُفهم على وَجهين: فهو دليل على فشل عملية إعادة غرس الاستعمار التي أوكِلَت للفرق الإدارية المختّصة من جهة، لأنها لو نجحت في مسعاها ما

كانت هناك حاجة إلى استحداثها وتنفيذها. ومن جهة أخرى، هي دليل على نجاح التأطير الثوري الموازي الذي جعل سكان المنطقة يرفضون الخضوع التّام ويتركون بيوتهم وأراضيهم وينتقلون تحت الإكراه إلى معسكرات التّجميع، فأتاحت للثورة تأطيرهم في تلك المعسكرات بعد تجميعهم فيها، وبذلك يكون التأطير لهم أسهل مما كان عليه حينما كانوا مشتّتين في المناطق الجبلية النائية والغابات ذات المسالك الصعبة، وإن خلقت عملية نقل السّكان وتجميعهم في المعسكرات صعوبات للمجاهدين فيما يتعلّق بدعم السّكان اللّوجيستيكي لهم.(El-Moudjahid ,1958, p423)

وفي هذا السياق، ظهرت الفرق الإدارية المختّصة بأنها جهاز استئصالي، ساهمت في استئصال السكان المحليين من مواطنهم، وحشرهم في بقع أرضية مسيّجة بالأسلاك الشائكة ومحاطة بأبراج للمراقبة، ومجهزة بأسلحة رشاشة، وحرمانهم من حياتهم المعتادة التي درجوا عليها سالف عن سالف، وفرض عليهم نمطا من العيش لم يألفوه ومخالف لنظامهم الاجتماعي، مما دفع ببعض الدّارسين إلى وسم هذا العمل بعملية "الاقتلاع" أو الاجتثاث" الذي أكرهَ السكان عليه. وهو قمعٌ نفسي وبدني يضاف إلى قائمة التناقضات التي جمعتها "لاصاص" لتصبح عندها ترقية السّكان وإدارتهم بما يعود عليهم بالفائدة، معناه استئصالهم واقتلاعهم وصدمتهم بتغيير نمط حياتهم، مما أثّر على الذهنيات أثناء الثورة التّحريرية(El-Moudjahid,1957,p223). وبعد نهايتها ونيل الاستقلال خاصة في السنوات الأولى منه.

ثالثًا: الوجه الآخر لنشاطات الفرق الإدارية المختّصة .

ساهمت جريدة "المجاهد" في بيان انتهاكات "لاصاص" وتجاوزاتها في حقّ السّكان المحليين، بلجوء كثير من ضباطها إلى القمع وممارسة التعذيب الممنهج. محاولة الكشف عن وجه "لاصاص" اللاإنساني ؛ وبالتالي إلى زيف رسالتها الإنسانية المزعومة.

1– "لاصاص" وممارسة التعذيب.

احتوت بعض المقرّات التي تأوي فرق "لاصاص" على غرفة لممارسة التعذيب، حيث يُجلب إليها بعض السّكان الذين وجهت لهم تهمة التعاون مع المجاهدين فيُعتقلون في تلك الغرفة. (El-Moudjahid, 1957, p135) وكان مصير هؤلاء المعتقلين إما التّحويل إلى مكاتب تابعة

لمصالحة الاستعلامات التابعة للوحدة العسكرية القريبة من مقر "لاصاص"، أو أبقاءهم في مقرّات "لاصاص" ثم يحوّلون إلى مكتب خاص أعدّ خصيصًا لتسليط شتى أنواع التّعذيب على المعتقلين، بعد أن يتعرّضوا لاستجوابات طويلة ومتكرّرة، واستنطاق قهري يُكلّف المسؤول عن الاستعلامات بممارسته، بلا حسيب ولا رقيب.(El-Moudjahid, 1958, p373)

اتّفقت الشهادات الحية التي أدلى بها مَن تعرّضوا للتّعذيب من السّكان المحليين على أن كثير من مقرّات "لاصاص" كان بها غُرف لممارسة التعذيب. (El-Moudjahid,1957,p223)

أكّدت الشهادات بأن مقر "لاصاص" في "لافيجري" (Lavigerie) كان يوجد به غرفة مجهزة بوسائل مخصصة للتعذيب والاستنطاق مثل الكرسي الكهربائي وحوض الماء ومخاطيف لتعليق المُعذَّبين والأثقال التي تُربط بأرجلهم. (El-Moudjahid,1957,p223)

أوردَت جريدة "المجاهد" على صفحاتها، خبر هجوم المجاهدين على مكتب "قايد" تاجموت، وعثورهم على وثيقة سريّة عبارة عن تقرير صادر عن جهات إدارية عليا، وذكرت الوثيقة إستراتيجية قمعية تبناها الجنرال "بارلانج"، وقد أُستُدعي من المغرب بوصفه المسؤول الأوّل عن مصلحة الشؤون الأهلية، ويُحسن اللّغة العربية وعدّة لهجات محلية، وعند استقراره في الجزائر كُلّف بإنشاء فرقة إدارية متخصصة نموذجية في منطقة الأوراس في أبريل 1955، ثم تعميمها على جميع التراب الجزائري في سبتمبر 1955. وأشارت الوثيقة إلى انتهاكات خطيرة في حقّ السّكان مارستها مجموعة "القوم" التابعة لقايد تاجموت. وحذّر أصحاب التقرير من الانعكاسات السلبية لهذه الانتهاكات، وإمكانية حدوث بسببها نفلاتات أمنية تؤدي إلى الفوضى في منطقة تعتبرها خاضعة و"هادئة" وقد نجح التأطير الاستعماري للسكان المحليين فيها، انتقدت الوثيقة سوء التّحكّم في تصرفات "القوم"، وأحصت الوثيقة مجمل الانتهاكات، وذكرت: سرقة البهائم، والزّرابي، والموصوغات، والتعدي على الأعراض التي يمارسها المظلّيين، كما ذكرت الوثيقة أسماء الضحايا، وفصّلت في وصف أنواع التّجاوزات. (El-Moudjahid, 1957 ; p110)

2– "لاصاص" وإسناد عمليات الجيش الاستعماري

لم يكن للفرق الإدارية المختّصة وجهٌ واحد، بل عدّة أوجه، ومن الأوجه التي أحيطت بالتعتيم، علاقتها بالجيش الفرنسي. فقد كانت دليلاً ميدانيا لوحدات الجيش الاستعماري، ووسيلة

للتّكيُّف مع إستراتيجية الحرب الثورية، وقناة موثوقة للجيش الاستعماري تنقل الأخبار وتجمع المعلومات على المستوى المحلي. كما ساهمت في إنجاح خطة "التّربيع" (Quadrillage)، التي أقرّتها القيادة العسكرية للجيش الاستعماري، والمشاركة في مراقبة المناطق "المُحرّمة". وكانت في أحيان كثيرة المُنفّذ لأوامر القيادات العسكرية على المستوى المحلي في شن عمليات التمشيط والملاحقة، بالإضافة إلى مساعدتها في اعتقال مَن يُشتبه فيهم من السّكان وتسليط التعذيب عليهم، وممارسة القمع والابتزاز والإذلال. وكان لهذا التّعسف أثر عكسي حيث قوى الحقد والكراهية السّكان المحليين تجاههم (El-Moudjahid, 1958, p381).

فهي تمارس الدّور الإداري والاجتماعي والاستعلاماتي الذي من المفروض أن يشارك الجيش الاستعماري فيها، إلاّ أن حسابات متعدّدة فرضت تقسيم الأدوار. منها محاولة إعطاء طابع "إنساني" أو "أنسَنَة" الحرب والاستفادة من نشاط أفراد الوعظ النصارى والظهور بمظهر أخلاقي مقبول يسهل تمريره على الرّأي العام الفرنسي.(El-Moudjahid, 1958, p376)

في كثير من الأحيان، كانت مقرّات وأبراج الفرق الإدارية المختصة، مكانا لتموقع وحدات من الجيش الاستعماري، وهذا لتسهيل التواصل بين "لاصاص" وهذه الوحدات، وتقاسم الجهود، وبالمقابل تضمن تلك الوحدات حماية مقرّات وأبراج الفرق الإدارية المختصة من أيّ هجوم مباغت يشنه المجاهدين، أو فرار بعض السّكان من معسكرات التجميع التي تديرها "لاصاص". وبهذا استفادت وحدات الجيش الاستعماري، من جهود "لاصاص" في مراقبة السّكان المحليين، وتحييد أكبر عدد من السّكان عن تقديم أيّ شكل من أشكال الدّعم للمجاهدين. وكانت التقارير التي تُعدّها "لاصاص" من مصادر اتّخاذ القرارات ورسم الخطط وتجسيد التّدابير المناسبة لدى الجيش الاستعماري. (El-Moudjahid, 1956, p49)

كما ساعدت "لاصاص" الجيش الاستعماري في تعزيز صفوفه بقوات إضافية منحدرة من السّكان المحليين، وساعدت في تأطير الأفراد والحركات المناوئة للكفاح التّحرُري. وقد ذكرت جريدة "المجاهد" بعض ما جاء في تقرير الجنرال "بارلانج" عن حركة بلونيس، وتأطير "لاصاص" لها، ومخاطر هذه الحركة.(El-Moudjahid ,1957, p196).

كما ساهمت "لاصاص" في تجنيد الموالين للسلطة الاستعمارية، وضمّهم إلى القوات المساعدة، وفرق المخازنية، ومجموعات الحرْكى، والقوم، والدّفاع الذاتي.(El-Moudjahid,1958, p255)

وذكرت جريدة "المجاهد" أنّه كلّما أسّست "لاصاص" في منطقة معيّنة، إلاّ وأتبَعَ تتأسيسها تنشيطًا للعمل العسكري للجيش الفرنسي في تلك المنطقة، تحت غطاء حماية السّكان المحليين باعتبارهم طائفة فرنسية مسلمة، ومن مسؤولية الجيش الاستعماري إبعادهم عن جميع التّهديدات التي قد تطالهم، وأنهم مولين لها ولا صلة لهم بـــ"الفلاقة". ومن المفارقات، أن هذا التّرويج، يصاحبه حرق الغابات، واقتلاع الأشجار، وإحراق الثمار.(El-Moudjahid ,1958, p255)

لحاجة الجيش الاستعماري إلى أدلاء متمرّسون ولديهم معرفة مباشرة بالمناطق التي يُطلق فيها عملياته العسكرية، فهو يستنجد بضابط "لاصاص" لضبط الخطة المناسبة. (El-Moudjahid, 1957, p110)

قيام بعض الوحدات العسكرية بتوزيع الطعام واللّباس بشكل غير مُنتظم على السّكان تحت إشراف "لاصاص"، فهي لا تريد إلاّ غرس خلايا تجسس تتخابر من وسط السكان وتجمع المعلومات حول العناصر العاملة في التّأطير الثوري. وكان لها أثر عكسي حيث كان السّكان بتأطير من المحافظ السياسي يحوّلون جزءًا منها إلى المجاهدين بطُرق متنوعة. وكان هذا الأمر مثار السخرية من ضباط "لاصاص".(El-Moudjahid, 1958, p255)

وأما مساعدة الجيش الاستعماري الفرق الإدارية المختصة في إنشاء ورشات وفتح أشغال وشق المسالك، وتوظيف السّكان القادرين على العمل ودفع رواتب لهم، فهي خُطوة لتجنيدهم في مجموعات الدّفاع الذاتي لحراسة قراهم، وتجنيد الحَرْكى منهم لصالحها. (El-Moudjahid, 1958, p466)

وحرص وحدات الجيش الاستعماري على إقامة اجتماعات للسّكان لمعرفة مطالبهم وحاجاتهم، ومنح ضابط "لاصاص" الدور الأكبر في تنظيمها وإدارتها، فليس إلاّ وسيلة لتخويفهم وبث الفزع في قلوبهم إذا ما هُم ابتعدوا عن بيوتهم، وإجبارهم تحت التّهديد والابتزاز على قطع

الصلة بالمجاهدين، ووسيلة دورية لإحصائهم وقياس معنوياتهم ومراقبتهم. ولهذا ركّز ضباط "لاصاص" على استثارة الجوانب المتعلّقة بشرف العائلة، لأنهم يعرفون حساسية الشرف لدى الجزائريين. (El-Moudjahid, 1956, p46)

الخاتمة

أسهمت جريدة "المجاهد" بدورها في الكتابة عن الفرق الإدارية المختّصة بما توفر لديها من إمكانيات، وبناءً على وجهة نظر مراسليها الميدانيين (أولئك الذين حملوا السّلاح والتحقوا بمعاقل الثورة). كما أنّها نقلت إلينا مواقف بعض قيادات الثورة وتقييمهم لنشاطات "لاصاص" في الأرياف الجزائرية. وأشارت إلى ما خلقته من أخطار وتهديد للكفاح التّحرُري، وإن رأت أنه يستحيل عليها عزل السّكان المحليين كلية عن الثورة، إلاّ أنها جهاز لإطالة الحرب والاستنزاف، وفسح المجال للسلطة الاستعمارية لتنظيم نفسها إداريا في الرّيف الجزائري بعد اعترافها بفشل التنظيم الإداري المحلي السّابق، وأداة لتقوية عمل وحدات الجيش الاستعماري ميدانيًّا.

لا نزعم أنّ جريدة "المجاهد" أحاطت بكلّ ما له علاقة بهذا الجهاز الإداري المتّخصص، ولكن نحسب أنّها كشفت عن جوانب مهمّة للدّارسين لها، فالقليل مما كتبته عن جوانبها أفضل من عدمها، وبإمكان الدّارس بذل الجهود لجمع ما تفرّق من الجوانب الأخرى في المصادر المختلفة وتشكيل بمجموعها صورة متكاملة.

تطرّقت جريدة "المجاهد" إلى بعض القضايا المتعلقة بالفرق الإدارية المختّصة، أهملتها الكتابات الفرنسية، و لم تُشر إليها ولو من قريب، حفاظًا على سمعة "لاصاص" وتدليسًا على القرّاء، وإخفاءً لبعض الحقائق التي لا تُشرّفهم.

وبالمقابل، لم تستوعب جريدة "المجاهد" جميع النواحي المرتبطة بعمل "لاصاص"، واكتفت بتلك الجوانب التي تكشف انتهاكات "لاصاص" في حقّ السّكان المحليين، وتجاوزات ضباطها، وزيف أهدافها.

في المجمل، ما كتبته جريدة "المجاهد" عن الفرق الإدارية المختّصة في الفترة الممتدّة ما بين 1956، و1958، يكشف الدّور البارز لها، والزّخم الذي رافق نشاطاتها، وأيضًا تفطّن الهيئة التحريرية للجريدة لأهمية التحذير من مخاطرها وتأثيره على مستقبل الكفاح التَّحرُري في الأرياف الجزائرية.

نحن من خلال اختيارنا لهذا الموضوع ودراسته، حاولنا لفت الانتباه إلى القيمة التاريخية لكتابات جريدة "المجاهد" عن "لاصاص"، وظهر لنا من كتابا جريدة "المجاهد" أن "لاصاص" في عام 1956، اهتمّت أكثر بالانغراس والتّوغل، وفي عام 1957 سعت لخلق موالين للاستعمار الفرنسي، وفي عم 1958، انحازت إلى أطروحة أنصار "الجزائر الفرنسية"، من أمثال الحاكم العام للجزائر سابقا "جاك سوستيل".

وحاولنا إبراز الفائدة المرجوة التي يمكن أن نجنيها من الوقوف على بعض الجوانب من صورة "لاصاص" حفظتها لنا كتابات جرية "المجاهد" التي يمكن اعتبارها تمثّل الطرف المُعادي لوجودها والمُحذّر من نشاطاتها، ومؤامرات ضباطها، ولا ينقص من أهمية هذه الكتابات عدم تطرق الجريدة إلى جميع التفاصيل المتعلقة بها، لكن يمكن تجميعها وتكميلها بالرجوع إلى المصادر الأخرى.

المراجع

حسين، عبدالهادي (2014)، الفرق الإدارية المختّصة في الجزائر الرهانات والأخطار 1955–1962، (ماجستير غير منشورة)، جامعة سيدي بلعباس.

غربي، الغالي (2009)، فرنسا والثورة الجزائرية دراسة في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع.

Abbas, Ferhat (2011), *Autopsie d'une guerre. L'Aurore*, Alger-Livres Editions.

El-Moudjahid, n°03, t1, septembre 1956.

El-Moudjahid, n°09, t1, 20-08-1957.

El-Moudjahid, n°10, t1, septembre 1957.

El-Moudjahid, n°12, t1, 15-11-1957.

El-Moudjahid, n°13, t1, 01-12-1957.

El-Moudjahid, n°14, t1, 15-12-1957.

El-Moudjahid, n°15, t1, 01-01-1958.

El-Moudjahid, n°17, t1, 01-02-1958.

El-Moudjahid, n°17, t1, 01-06-1956.

El-Moudjahid, n°20, t1, 15-03-1958.

El-Moudjahid, n°22, t1, 16-04-1958..

El-Moudjahid, n°24, t1, 19-05-1958.

El-Moudjahid, n°25, t1, 13-06-1958.

El-Moudjahid, n°27, t1, 22-07-1958.

Lacheroy, Charles (1955), *Scenario-Type de guerre révolutionnaire*, S.D.M.OM.

Mathias, Grégor (1998), *Les sections administratives spécialisées en Algérie*, L'Hrmattan.

S.H.D.Archives service historique de la défense. Paris-Vincennes. Série 1H 1211